عدن التاريخ والحضارة.. عدن مدينة البحر والجبل

نقول للشماليين: ماذا تريدون من عدن؟ لا دخل لكم فيها سيبوها لأهلها

«الأمناء» كتب/ أحمد مليكان:

كانت عدن على مدار تاريخها الحافة الأولى للمثقفين والمناضلين، وتعد مدينة كريتر قلب عدن مدينة البحر والجبل.

مدينة عدن المترامية الأطراف ونقطة استكشاف المدينة بدلا من بوابتها التي تعد أحد معالم المدينة التاريخية ولها قصة تحكى، حيث يقع باب عدن أسفل جبل التفكر ويسمى (باب البر) وكما أطلقت عليه تسميات أخرى مثل (باب السقايين) وقد وصفه المؤرخ الهمداني بقوله (شهر مقطوع في جبل) وتعيد بعض المصادر التاريخية بناء باب عدن إلى شداد بن عاد.

وقد استحدثت الكثير من التعديلات على باب عدن، حيث قام الملك الناصر الرسولي بتوسعة باب عدن البرى.. وكما جاء في كتاب تاريخ الدولة الرسولية وذلك ما أطلق عليه اسم باب الزيادة الذي شيد في عام ٨٠٩ بالقرب من باب عدن القدي، ويشير المؤرخ حسن صالح نهاب إلى أن باب الزيادة السالف الذكر هو باب العقبة، ويحتل باب عدن العقبة وقد كانت بوابته في السابق تفتح صباحاً وتغلق مساء وقد بنى عليه الإنجليز جسرا في عام ١٨٦٧ وهدم ذلك إلى عام ١٩٦٣م بهدف توسيع الطريق.

باب عدن أو باب كريتر كما أطلق عليه الإنجليز والتي تعني فوهة البركان.

عند دخول الزوار إلى عدن تستوقفهم الرؤية تلك المعاني القديمة التي لم يألف رؤيتها من قبل.. فقد بدا واضحا ذلك التباين في أساليب البناء وخصوصاً في المباني القديمة لقصور السلاطين والكنائس وحتى المساجد وفي التداخل المختلف للثقافات التي تعايشت في عدن على الرغم من الاختلافات في الثقافات والعادات وحتى الأديان، وما زالت آثار ذلك باقية من خلال وجود الكنائس والمعابد اليهودية والمجوسية، ومن أشهر المعالم التاريخية في مدينة عدن حصن الخضراء وحصن التفكر ومنارة عدن والدرب التركي وكنيسة القديسة ماريا والتي بناها الاحتلال الإنجليزي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وقد تحولت كلها تقريباً إلى مبان.

أما مساجد عدن فإن من أشهرها مسجد أبان الذي ينسب إلى أبان بن عثمان بن عفان الذي توفى في (٥١٠٥ - ٢٧٢٣ بالمدينة المنورة، حيث أقام في عدن فقيها وبنى المسجد قبل عودته إلى المدينة المنورة مخلفاً وراءه ولديه (الحكم والمكتر) وهناك مسجد العيدروس الذي ينسب للشيخ العلامة أبو بكر بن عبدالله بن أبي بكر العيدروس الذي دخل عدن بناءً على دعوة من علمائها الذين رغبوا في الاستفادة من علمه الغزير فدخل عدن في ١٣ ربيع الثاني ١٨٨٩ - ٣١٤٨٤ - وأصبحت ذكرى دخوله عدن موعداً لزيارته المشهورة والمقامة كل عام منذ ما يزيد عن ٥٣٠ سنة وإلى يومنا هذا منذ وفاته في ليلة الثلاثاء يوم ١٤ من شهر شوال ٩١٤ هـ - ١٥٠٨م - ويوجد ضريحه في شمال المسجد.. وتعد منارة جامع العيدروس المبنية من حجر الحبش الأسود من معالم عدن كما يعد من الجوامع ذات الفن المعماري الجميل في عدن.

إن الزائر لعدن لأهم معلمين تاريخيين في عدن (قلعة صيرة - والصهاريج) فقلعة صيرة التي تقف بشموخ على جبل صيرة وكأنها تحرس المدينة من القادمين من خلف المحيط، ما زال تاريخ بنائها مثار جدل بين الباحثين والمؤرخين الذين يقول بعضهم أن القلعة تم بناؤها في ذات الفترة التي تم بناء ميناء عدن كريتر كميناء تاريخي لعدن ويعود ذلك إلى فترة ما قبل الإسلام.

دخل المماليك والأتراك في القرن الخامس والسادس عشر الميلاديين لمواجهه الغزو البرتغالي.. غير أن أحدث الدراسات التاريخية تقول إن قلعة صيرة يرجع تاريخ بنائها إلى زمن الأمير الأيوبي عثمان الزنجبيلي التكريتي والي عدن في عام ٥٥٦٩ - ١١٧٣ ويوجد في قلعة صيرة بئر (الهرامسه) حيث تقول بعض الأساطير بأن الجن هم من قاموا بحفرها.

أما صهاريج الطويلة التي باتت تعرف اليوم بصهاريج عدن فما زالت محط أنظار الزوار إلى عدن وخارج عدن كان الزوار يأتون من كل أنحاء العالم منذ الخمسينات والستينات والسبعينات والثمانينات إلى قبل الوحدة المشؤومة وبعدها توقعت المسارات إلى عدن مطلع التسعينات ذكرت الصهاريج في كتاب وصف جزيرة العرب للهمداني وكتاب (أحسن التقادم في حرفه مقالة وذكرها أيضاً ابن بطوطة.

وقد تعرضت الصهاريج لعمليات ترميم على أيدي الإنجليز ابتداء من عام ١٨٥٦م - وقد تم بناء عشرات السدود التي تنظم طريقة وصول الماء للصهاريج الذي ما زال الخلاف قائماً حول عددها.

وقد جاء في تقرير كبير المهندسين البريطانيين الذين أشرفوا على الترميم بأن عددها في الطويلة وحدها ٣٥ صهريجاً.. وفي الأخير نقول للشماليين: ماذا تريدون من عدن؟ لا دخل لكم فيها، سيبوها لأهلها.

غرباء عن أوطانهم.. حدثتنا الطاولة العربية!

«الأمناء» كتب / هويد الكلدي:

لم تعد لصديقي "عبد الغفور شوارع" القدرة على عودته إلى مسقط رأسه (السودان)، وهو البلد الفرعوني الآخر المكتوم على أنفاسه، عبد الغفور ذو الـ36 عاما، يعمل ناشطا حقوقيًا وله نشاطاته الاستحقاقية ضد الحكومة، ترك السودان في العام 2017 ثم اتجه إلى جمهورية مصر العربية واستقر هناك، لكنه شبه (تائه) يبحث عن منفذ للخروج إلى القارة العجوز (أوروبا) حسب طموحاته.

فلسطين، تلك القطعة العربية المنسية وبنفس الوقت الشعار المهتوف بيننا كعرب دائماً، التي أصبحت منبوذة من الجسم العربي وصارت تؤكل بفم صهيوني، حتى لا أنسى ذكر المحامي وهو حَاتم الحاوي ذو الـ34 سنة قضى كل عمره خارج فلسطين، ولد في منطقة تقع جوار فلسطين بمملكة الأردن، أبواه من مواليد المخيمات، هو ووالداه ينتمون لفلسطين اسماً ولكنهم من مواليد المخيمات في بلد الأردن ويُعرفون بـ(اللاجئين) عرب 48، حاتم مستقر في جمهورية مصر منذ العام 2012م.

أنا هويد الكلدي، صحافي من عدن، مسقط رأسي ذلك البلد الذي لم أستطع حتى الآن حفظ وترديد نشيده الوطني ولم أستطع حمل راية (علم) الوطن الذي أنتمي إليه، بسبب تشتت الهوية والصراع الدائر بين الجنوب والشمال، والوحدة أو الموت، وفك الارتباط أو الموت، أنا من مواليد 1994 نهاية دولة جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية (الجنوب) وبداية الوطن الجديد وهو (الجمهورية اليمنية)، التي ربطت عدن الجنوبية بصنعاء الشمالية، في وحدة بين البلدين ضمن المشروع العربي الكبير (الوحدة العربية)، كما قيل!

غادرت عدن في أكتوبر 2021، إثر حادث إرهابي تعرضت له، وما زالت الأحداث الدموية تحدق بالمدينة حتى اللحظة.

أنا وعبد الغفور وحاتم التقينا وتعرفنا على بعضنا في جمهورية مصر العربية، بالتحديد في معرض دار الكتاب في القاهرة شهر نوفمبر 2022، مصر تلك الجمهورية أم العرب وأم الدنيا التي نجتمع بداخلها جميعنا كل العرب دون أن يشعر أحدنا بالغربة.

ومن ذلك اليوم، وطوال عام كنا أصدقاء نلتقي في مقاهي مصر، في وسط البلد وضفاف النيل والسيدة زينب وعدة أماكن، جلساتنا تتمحور بين قراءة الكتب وكل شخص منا يروي أوضاع بلده على الآخر ومناقشة الوضع العربي ككل.

جميعنا توحدنا واعترفنا أننا مشردين بدون أوطان واجتمعنا في مصر ولا نستطع العودة إلى أوطاننا، وهي بالتعبير الصحيح ليست أوطاننا كما ندعي بل هي (مسقط رؤوسنا) لأننا اليوم نبحث عن أوطان ننتمي إليها لتحمينا وتعطينا حقوقا وتمنحنا من خيراتها العلمية والصحية والمادية وحتى المشاركة في السلطة.

الطاولة التي وضعنا الكتب عليها ونتكئ عليها نحن الثلاثة تكلمت وقالت: أنت أيها السوداني أصبحت مشردًا وبلدك بين سلطة حكم وانفصال شمال وجنوب وصراع عسكري ومجاعة محدقة وأزمات قاتلة، وأنت أيها الكلدي، تقصدني أنا، دون أن تناديني بـ(اليمني) لأنني حتى الآن لم أحمل هوية رسمية فالجنوب ضائع واليمن مكروه وساحتنا مشتعلة بالصراع وليس لي وطن حتى أُكنى به، وما زال ذلك اليمن بجنوبه وشماله يعيش صراع الهوية.

نظرت الطاولة إلى حاتم ابن المخيمات المطرود من الأردن والمحسوب على فلسطين المحتلة وقالت له: "ماذا عساني أناديك؟ فقد حيرتي حين تدعي أنك فلسطيني وتلك البلدة أصبحت جزءًا من الصهاينة والعرب ليس معكم وحتى ولادتك لم تتم إلا في المخيمات على أراضي الأردن، والآن جميعكم تستدعون الأوطان وأنتم في وطن ليس لكم، بالأصح (غرباء)".

فقال حاتم في الختام حقاً إننا (غرباء) وسنظل غرباء، فأين نُدفن إذن؟

بالفعل كانت معرفتنا غريبة وحديثنا ليس غريباً ولكننا بأنظار العالم الآخر المحيط بنا (غرباء) وهذا المفهوم خطيٌر قد يولد أجيالاً مستقبلية مهددة بالتنمر والتذمر والعنصرية، فمتى نجد الحرية حتى نحلق بهوياتنا الأصلية التي نُزعت وسُلبت منا فأصبحنا أجيالاً نعيش الصراع لأجل استعادتها ومع ذلك شردتنا تلك مسقاط رؤوسنا التي ليست (أوطاننا) ولن تكون!